الباحث الأدبي- المنطلقات والضوابط-

الدكتورة: سامية بوعجاجة
قسم الآداب واللغة العربية
كلية الآداب واللغات
جامعة محمد خيضر- بسكرة

ملخص :

تركز هذه المداخلة على أهمية البحث الأدبي بوصفه من المباحث المساعدة على الاستكشاف والتنقيب من أجل الوصول إلى الحقيقة، بالتركيز على الباحث الذي يسعى من أجل المعرفة منطلقا في سبيل ذلك من جملة شروط، متسلحا بعدد من الضوابط المنهجية، لتحقيق الغاية المرجوة وهي إنجاز بحث جيد ومبتكر.

توطئة:

تهتم مختلف الجامعات بشتى تخصصاتها، والمؤسسات العلمية الفاعلة في كل البلدان بالبحث العلمي، لأنه الوسيلة الأمثل، والطريق الأنجع في بلوغ المعرفة وتحقيق النهضة، وولوج عوالم الاكتشافات الحديثة والمخترعات الدقيقة.

ولن يتحقق ذلك إلا باتباع مناهج علمية دقيقة، تعين الباحث على التقصي والاستقراء، والنظر والتجريب للوصول إلى نتائج دقيقة ونافعة.

والبحث الأدبي، هو الآخر من البحوث العلمية، يستهدف من خلاله الباحث الوصول إلى نتائج علمية في مسألة أو موضوع ما، وفق منهج علمي يقوم على مرتكزات ويقف عند ضوابط دقيقة.

1)- ما المقصود بالبحث الأدبي:

أ- **البحث في اللغة:**« التفحص والتفتيش.. وبحث (فعل) بمعنى: نقّب وحفر وقلب الأرض طلبا لشيء، ثم صارت بمعنى فتّش وتفحص، ونظر في الأمر أو الموضوع.

البحث: في العصر الحديث يعادل الدراسة. وبحث في الأمر: درسه، وكتب بحثا: كتب دراسة، ومفهوم البحث: التقصي والتدقيق في كل الجوانب»[1]

أما اصطلاحا: فالبحث:« هو بذل المجهود العقلي أو الذهني في التحري والتقصي أو التفتيش، عن مسألة أو أمر معين، بقصد التعرف على حقيقته وجوهره»[2]

وبالنسبة للبحث الأدبي فمعلوم، أن الطالب الجامعي عقب كل مرحلة دراسية يجد نفسه أمام مهمة إعداد مذكرة للتخرج(الليسانس) أو إعداد أطروحة الماجستير والدكتوراه في الدراسات العليا.

وبالتالي يجد الطالب نفسه أمام مشكلات مرتبطة بالبحث، والمتمثلة في كيفية انتقاء العنوان المناسب، وإمكانية الحصول على المراجع والمصادر المساعدة على فهم الموضوع واستيعاب إشكالاته، مرورا بضبط الخطة، واختيار المشرف المناسب، وصولا إلى مرحلة التحرير والصياغة لموضوعه.

والبحث الأدبي، يتركز اهتمامه في قضايا الشعر والنثر، فيعالج قضية ما بالدرس والتحليل، وفق آلية منهج علمي محدد، حتى يصل إلى نتائج ملموسة وناجحة.

2)– شروط الباحث:

ينبغي للباحث الذي يتصدى للبحث والتنقيب، ويطمح إلى تحقيق مستوى علمي رفيع، والارتقاء في سلم البحث الجامعي الأكاديمي أن تتوفر فيه جملة من المناقب والمواصفات، وهي:

1. حب المعرفة، وشغفه بالبحث التنقيب، وتقديره لأهمية العلم، على المستوى الفردي والجماعي.

فالشخص الذي لا يقدّر العلم قدره، أو ينزله منزلته السامية لا يمكن أن يتحلى بالصدق في بحثه، والجدية في عمله، ومواصلة نشاطه بروح من المسؤولية والجدية.

كما أن الايمان بقيمة العلم تتجلى في« الإقبال النفسي، وشغف البحث والدراسة، وحب تحصيل المعارف والفنون، وكذلك شعور الباحث بانشغال خاص نحو البحث، أي استحواذ موضوع البحث على اهتمام الباحث»[3]

2. أن تتوفر الرغبة في إنجاز هذا البحث والميل إليه نتيجة القراءة المتواصلة، فيحب تلك الشخصية ويعجب بها، أو يرغب في ذلك الجنس الأدبي، أو يميل إلى تلك الفترة الزمنية، فتسترعي انتباهه.

وقد يقترح المشرف الموضوع على الطالب، كما هو الحال في أغلب مذكرات الماستر،« وهو بعمله هذا، ييسر كثيرا من الأمر على الطلاب، ويوفر لهم وقتا وجهدا»[4]

3. إلمام الباحث بكل شاردة وواردة من موضوعه، بالقراءة والاطلاع على كل ما قيل فيه وحوله، فينوع من المصادر والمراجع القديمة والحديثة، بل ويعمد إلى المراجع الأجنبية أيضا- إن أمكن-

4. التحلي بالصبر وقوة العزيمة، فلا يمل أو يكلّ، ولا يترك القراءة الدائمة والمستوعبة. فالباحث الأدبي يقرأ النحو والبلاغة والعروض... حتى يمتلك لغة جيدة وصياغة سليمة بأسلوب واضح، فيتجنب الركاكة والسماجة، ويبتعد قدر الإمكان عن الأخطاء التركيبية (النحوية)

5. الباحث الجاد: يتطلع إلى استكشاف مواطن جديدة، أو قضايا مجهولة، فيبحث فيها، ويعالجها وبذلك يفتح للباحثين الآخرين مجالا جديدا، فالسيوطي يقول:« لا ينبغي لمصنف يتصدى لتصنيف أن يعدل عن غرضين: إما أن يخترع معنى، وإما أن يبتدع وصفا ومبنى، وأما سوى هذين الوجهتين فهو تسويد للورق»[5]

6. حضور شخصية الطالب في بحثه، فلا يكتفي بالرصف والجمع، بل يعلق ويناقش الأفكار، ويعلل الآراء وينقدها.

7. إلتزام الموضوعية، فينأى بنفسه عن الأحكام المسبقة، وعدم التآثر بالمشاعر الشخصية.

8. التفكير في مسألة ما ومحاولة فهمها، وقد يلازم هذا التأمل الفكري شكا، وهذا الشك ليس كشك طه حسين« الشك من أجل الشك» بل يجب أن يكون شكا للمعرفة والمطالعة حتى يصل إلى الحقيقة المرجوّة.

9. الأمانة العلمية: البحث أمانة ومسؤولية، والباحث مؤتمن على ما بين يديه من مراجع ومقالات، فيحسن التعامل معها، وينأى بنفسه عن دائرة السرقة والسطو التي يعاقب عليها، قال رسول الله(ﷺ):« خيانة أحدكم في علمه أشد من خيانته في ماله»[6]

10. ومن باب أولى إذا كان أمينا، أن يتوفر على شرط التواضع العلمي، فلا يدعي المعرفة والبراعة في موضوع ما، كما يبتعد عن الزهو بقدراته، ومهاراته. ولقد ضرب علماؤنا مثلا عظيما في قولهم للسائل: لا أعلم. فهذا الإمام مالك– رحمه الله– جاءه رجل وسأله أربعين مسألة أجاب عن مسألتين والباقي قال له:" لا أعلم".

3)– علاقة الباحث بالمشرف:

يحتاج البحاث وهو بصدد إعداد بحث أكاديمي(هناك أيضا ما يسنى بالبحث الحر، صاحبه يعتمد على ذاته، دون توجيه من أستاذ جامعي.. يختار موضوعا ما يشغله، وفق آليات منهج معين)

فالباحث يحتاج إلى المشرف، الذي يوجهه، ويصوب أخطاءه، والباحث الجاد، يلجأ إلى المشرف المتخصص« المشهود له بالكفاءة، المتشدد في تحري الحقيقة العلمية، الواعي بأمانة البحث وجلالها، وتلك خصال يجب أن يتحلى بها المشرف على البحث»[7]

المشرف هو الآخر يتحلى بجملة من الأخلاقيات، منها الإخلاص في العمل والصدق والأمانة العلمية، رعاية الطالب وتوجيهه، وتقديم النصيحة حتى يوفق في إنجاز بحثه. ومن واجبه تجاه الباحث:

1– تبني الباحث وحسن توجيهه، فلا يتركه وحده تتلاطمه مشكلات البحث (الخطة، أو المراجع...) بل يأخذ بيده، ويوجهه إلى الصواب، كما يرشده إلى مواطن التقصير، وعليه أن يتابع الباحث خطوة خطوة، فيصوب أخطاءه، ويناقش آراءه.

2– أن يكون المشرف محايدا، فلا يفرض على الباحث رأيا، ولا يلزمه بإنجاز أمر ما.

3– أن تكون علاقة الباحث بمشرفه أشبه بعلاقة الإبن بوالده، فإن حدث بينهما سوء فهم أو خصومة... فهذا يؤثر على البحث.

4)– الباحث واختيار موضوع البحث:

1. مسؤولية اختيار الموضوع: قد يختار الباحث موضوعه بنفسه، نتيجة لقراءاته، أو سماعه محاضرة أو درسا عن قضية أو شخصية، أو مرحلة أدبية ما، فأراد أن يدرس تلك الظاهرة، ويركز في شخصية تشغله وأعجبته(كأن يعجب بشخصية: مالك بن الريب في العصر الأموي، أو المتنبي في العصر العباسي، أو ابن الخطيب في الأدب الأندلسي، أو الأمير عبد القادر في العصر الحديث...)

وقد يقترح الأستاذ المشرف على الطالب موضوعا ما. وهو الذي أصبح شائعا في جامعاتنا، وخاصة مع طلبة الماستر، تقدم لهم الموضوعات، وهو يختارون موضوعا محددا، لينجزوه فيما بعد.

ويحذر العلماء الباحث من التمادي في الاتكال على المشرف في انتقاء الموضوعات، وخاصة في بحوث الماجستير والدكتوراه« وهو استهلال سيء قد ينتهي به إلى أن يصبح دائما عالة على الآخرين لا في اختيار بحثه فحسب. بل في جميع أفكاره»[8] لذلك عليه بالقراءة المستضيفة والمثابرة حتى يتمكن من:

1. **اختيار العنوان:** فيكون دقيقا واضحا، غير مبهم، جديدا مبتكرا، قصيرا وطريفا حتى يتسنى له إنجازه في آجاله المحددة، يقول شوقي ضيف على الباحث ألا يتوسع« بموضوع بحثه بحيث يشمل عصرا بأكمله بجميع صعوباته ومزالقه، أو يشمل إقليما بجميع بلدانه وأحداثه وشخوصه، وحسبه شخص واحد في الإقليم أو جانب واحد في العصر، بل أولى له أن يكتفي بجانب مهم في أحد الشعراء أو الكتاب النابهين»[9]

2. **تصميم الخطة:** والخطة هي طريقة سير البحث، وتضبط الخطة بمساعدة المشرف، وبمشورته، حتى تتحدد أهداف البحث ومقاصده، وتكون مبدئيا بهذا الشكل أو ذاك، ومع مرور الوقت ونتيجة للقراءة، والسير في دروب البحث، قد يعيد الباحث هيكلة خطته بشكل موسع، وأضبط.

3. **قائمة المصادر:** انتقاء المصادر والمراجع، التي تبصر الباحث، وتعينه على فهم موضوعه، وتذلّل أمامه عقبات البحث، لما فيها من أفكار وآراء متصلة بموضوعه« وتعني المصادر، الكتب التي يرجع إليها الباحث ليتناول منها المادة الخام، فهي نصوص إبداعية. ومن أنواع المصادر: الكتب، المخطوطات الرسائل الجامعية، الموسوعات، المعاجم، المقالات، المجلات، الجرائد، الأحاديث الإذاعية، المقابلات، المحاضرات، المراسلات، الوثائق الرسمية، الملتقيات...»[10]

5)- إلمام الباحث باللغة التي يكتب بها:

براعة الباحث وقدرته على تحقيق التفرّد والتميّز، لا تكمن فقط في التوفيق في انتقاء العنوان الجيد، وتحديد الاشكالية بشكل دقيق أو ضبط الخطة وفق آلية منهجية محددة،

بل يعود الأمر أيضا إلى مقدرته على التعامل مع اللغة، ويتجلى ذلك في حسن اختياره للألفاظ والعبارات الجيدة والواضحة والسليمة.

وقديما اشترط الجاحظ في الأديب أن يتخير الأسلوب الأمثل– وهو أسلوب وسط– يبتعد فيه صاحبه عن التوعّر ومجانبة الطبع، كما لا ينحدر إلى لغة سوقيّة فيها إسفاف وركاكة، بل أسلوب وسط، شرطه الوضوح وسلامة اللغة وأداء الفكرة ببلاغة.

ولا يتأتى للباحث حسن الصياغة، والسلامة اللغوية، إلا من خلال القراءة المتواصلة، والمتأنية، حتى يصل إلى الصياغة السليمة، ومراعاة التسلسل المنطقي لأفكاره « فإذا لم يحسن الباحث صياغة أفكاره في لغة عربية سليمة واضحة بينة الدلالات ولم تتأكد نتائجه بالبراهين الساطعة والأدلة القاطعة، وافتقد ساعة ذلك التسلسل المنطقي الدقيق، ولا أظنه والحال هذه بمستطيع توصيل أفكاره بطريقة مقنعة ذات تأثير»[11]

كما أن من شروط الصياغة السليمة: الابتعاد عن الأطناب الممل، واجتناب الإيجاز المخلّ

كذلك مراعاة نظام الجمل، فالفقرات(الجملة: طولها أو قصرها، أركان الجملة الاسمية: المبتدأ والخبر، جمل فعلية: فعل وفاعل، أدوات الربط: أدوات الشرط والجواب، حروف الجر، الاستفهام...)

- مراعاة أدوات الترقيم:(النقطة، الفاصلة، الفاصلة المنقوطة، الأقواس...)
- حسن الاقتباس، والأمانة العلمية في النقل(الاقتباس الحرفي يوضع بين قوسين)
- يقسم البحث إلى: مقدمة، متن، خاتمة.

1. المقدمة: تطرح فيها اشكالية البحث، والخطة التي يسير عليها، ودوافع هذا الموضوع، والمنهج المتبع...

2. المتن: يقسم إلى أبواب وفصول ومباحث، وكل فصل له عنوان رئيسي، وعناوين فرعية.

3. الخاتمة: يبرز فيها الفكرة الجوهرية بشكل مركز، ويبين أهم ملاحظاته والنتائج التي خلص إليها من هذا الجهد(البحث).

6)- أهمية البحث الأدبي:

تكمن أهميته في غاية أساسية، تكوين المعرفة، وإماطة اللثام حول قضية معينة، أو شخصية مغمورة، أو ظاهرة مغيبة، أو كشف النقاب عن مرحلة أدبية مهمة لم تحظ بالعناية أو طالها النسيان وإهمال الإنسان.

كما أن الباحث المجدّ والدؤوب، الذي ينقّب في ثنايا الكتب وبين المراجع والمصادر قد يكتسب جملة من القيم التي تؤهله لأن يكون باحثا مقتدرا في اختصاص ما، منها:

1. تنمية روح الاستنتاج العقلي، والاستقصاء، وإذكاء روح البحث والابداع، وتقديم ما هو أفضل مع الوقت.
2. تكوين شخصية علمية، تقوى على التفكير السليم، والنقد البناء، والمنطق القيم المنظم.
3. القدرة على التعبير عن ذاته، وذوات الآخرين، والتفكير الحر[12]
4. امتلاك روح المغامرة، والاكتشاف والتجديد، وهذه مواصفات الباحث المتميز الذي يقدم أعمالا تكون لبنة توضع في بناء الإبداع العربي.

وهنا فقط أشير إلى أن الباحث الحر، هو الآخر يبحث ويستكشف، وقد ينجع في مجاله، ويترك بصمته في دنيا الابداع والتأليف(فالعقاد خير نموذج للباحث الحر الذي علم نفسه وأبدع في كتاباته المتنوعة)

الهوامش:

1. محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ج1، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ، 1999م، ص 162.
2. أحمد عبد الكريم سلامة، الأصول المنهجية لإعداد البحوث العلمية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1428هـ، 2007م، ص 13.
3. نفسه، ص 49.
4. أحمد طالب، منهجية إعداد المذكرات والرسائل الجامعية، ط5، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2007م، ص 11.
5. أحمد عبد الكريم سلامة، مرجع سابق، ص 51.
6. نفسه، ص 53.
7. نفسه، ص 55.

8. شوقي ضيف، البحث الأدبي– طبيعته، مناهجه، أصوله، مصادره–، ط7، دار المعارف القاهرة، ص(مقدمة)
9. نفسه(مقدمة)
10. أحمد طالب، منهجية إعداد المذكرات والرسائل الجامعية، ص 60.
11. مصطفى السيوفي، المنهج العلمي في البحث الأدبي، ط1، الدار الدولية للإستثمارات الثقافية، القاهرة، 2008 م، ص 52.
12. ينظر: أحمد عبد الكريم سلامة، الأصول المنهجية لإعداد البحوث العلمية، ص 27.